

الكويت بين الماضي والحاضر

بقلم « ستانلي كلارك »

STANLEY CLARK

العالم ، فالخازن الأنيقة التي تعرض البضائع المعبأة ، والبديل المتأخر . . . والساعات السويسرية ، والمجوهرات الغريبة وجميع أنواع الصابون وأدوات التجميل الفاخرة . . . فالسيارات الأمريكية تتخاطر في شوارع البلد . والعمال يشتغلون في توسيع الميناء الذي يوجد به حوالي عشرون سفينة ، وفي نهاية المرفأ الذي طوله حوالي الميل تقف ناقلة نفط كبيرة لشحن النفط بمعدل ثلاثة آلاف طن في الساعة . ولكن مع ذلك يوجد بعض الأعراب الذين يقودون مواشيهم في الشوارع ، ومع أن شوارع الحركة المهمة يدير حركتها شرطة أنيقو اللبس واقفين تحت ظلال مظلات كبيرة ، وسط الشوارع .

التعلق بالماضي

ومع أن حياة أمير الكويت قد تغيرت قليلاً فإن الشيخ الذي قابلته قبل ثمان سنوات كان السير أحمد الجابر الصباح طويلاً ، أسمر ، ذا لحية ، وهو ابن عم الأمير الحالي ، وه يعيش في قصر أبيض متألّق لا يعد ترفاً لأمر شرقى ، ماعدا غرفة واحدة ، حيث زين سقفها بصور ذات رونق وجمال يرجع عهدها إلى عصر أدورد وهي غرفة الحكم أو (المجلس) والأمير الحالي يعيش بنفس القصر ، وهو كذلك طويل ذو أنف يشبه أنف الصقر وله نظرات حادة وهو من سلالة العائلة المالكة للكويت وهو مشغوف بالدرس ومتدين ويتعلق بعادات وملابس العرب . . .

والكويت ، عدا ، ثروتها الجديدة ربما تكون أسلم أو آمن مدينة في العالم لحفظ الأشياء الثمينة فيقال أن باستطاعة الشخص أن يترك قطعة من الذهب بالشارع بدون أن يخاف عليها من أن تمسرق ، فالأيدي ، الدابلة ، أو اليابسة المعلقة في بعض الحوانيت لتشهد بذلك ، فإنه في قانون البلد من سرق تقطع يده جزاء فعله .

فالأمير سمو الشيخ عبد الله يعيش عيشة راقية ، بالرغم من البساطة المحيطة بسموه ، فله عدة قصور ، وسيارات لامعة ويخت ذو سرعة مدهشة ، ولكن هذه البجوحة لتعد

لقد زرت الكويت لأول مرة ، البلد التي تقع على الخليج العربي ، « خليج فارس » جنوب العراق ، لأشتري لؤلؤاً ، ولقد أخبرت بأن إعلان الحرب واضمحلال أسواق اللؤلؤ يجعل سعره في متناول كل يد .

فتلك المدينة الضيقة المكتظة المحصورة خلف جدار من الطين سمكه ١٥ قدماً كانت هادئة تحت وهج الشمس المحرقة وكان هناك بعض الظل في الشوارع ، إلا أن الحركة كانت مشلولة بها ، وقد كانت تبدو لي كمدينة مهجورة ، إلا أن الحير وطائرات الورق التي تحلق في جوها قد أثبتا من همة ادعائي (بأنها مهجورة) . وفي داخل حوانيت تجار اللؤلؤ الباردة ، كانت تبدو الحركة والحياة ؛ فقد فتح لي أحدهم صندوقاً من الحديد وأخرج منه طبقاً مملوءاً من اللؤلؤ الجميل وتناول منه عقداً ، بعدم اهتمام ، وناولني إياه قائلاً إنه يسوى عشرين ألف جنيه استرليني ، ولقد كانت تلك هي العملة وقبل أن يبدأ الأمريكان والإنجليز في حمل البترول ، أما الآن فإن تلك الثروة من اللؤلؤ التي رأيته في ذلك الصندوق الحديدي الصغير ، أصبحت لا يعتد بها ، لأن حاكم الكويت سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح لديه من الدخل السنوي ما هو أكثر من مليونين ونصف جنيه سنوي من امتياز البترول وحده .

مشكلة الماء

في عام ١٩٤٢ عندما زرت الكويت لأول مرة ، بدى لي أن ليس هناك من الأسباب المعقولة التي تدعو هذا العدد الكبير من السكان لأن يعيش في هذه البقعة الجافة ، فقد تكون محلاً أميناً ، وأنها نهاية طريق القوافل الصحراوية التي تأتي من بعد ألوف الأميال المربعة حيث لا شيء يسد به الرمي ، ولكن الكويت نفسها ليس لديها ما تروى به ظمأها سوى بعض الآبار ، وحيث يجلب لها الماء بسفن شراعية بدائية من البصرة .

ولكن الآن كل ذلك قد تغير ، فتوجد الثروة بالكويت على الأقل . وفي الأسواق توجد البضائع من جميع أنحاء

« تعليق البعثة »

« هذا مقال نشرته جريدة (Times of india) في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ / ٧ / ١٩٥١ في بومباي ، وقد هالنا ما رأينا فيه من تشويه للحقائق ، ومسوخ للواقع ، وعز علينا أن لا يطلع عليه قراء « البعثة » الكرام ليعرفوا مدى ما يصل إليه التفكير الغربي — أحياناً — من سطحية مادية مالية محصنة ؛ لهذا آثرنا ترجمته ونشره على صفحات « البعثة » ليرى القارئ كيف تفكر ، وتتصور ، وتكتب هذه العقلية الغربية لاسيما بالمواضيع الخاصة بالشرق . فهذا الكاتب الذي ديج يراعه هذا المقال ، من يدى ؟ لعله في صدق تأليف كتاب كبير عن بلادنا ، أو عن بلاد الخليج ، أو غيرها من البلاد العربية ، مملوء بالمعلومات ، ومزوداً بالاحصاءات التي نرى نموذجاً ليس بالكبير منها ، ونحن بهذا التعقيب لا نريد أن نناقش آراء الكاتب لأن أغلبها خاطيء ، وخاصة ما كان منها متعلقاً بالماضي ، — الماضي القريب — ففي عام زيارة الكاتب الأولى للكويت عام ١٩٤٢ ، كانت البلاد تتمتع برفاه ورغد بسبب الأعمال ، ورواج حركة التجارة والملاحة ، وما تدرهما على البلاد من الخيرات ، لكن « حضرة » الكاتب يتجاهل هذه الظواهر ، ولا يريد أن يعزى انتعاش الكويت إلا إلى النفط وما دره من أموال على الحكومة ، ولولاه لما كانت هذه المشاريع الحكومية ، وما هي عليه من نشاط . ونحن لا نريد أن نقول أن النفط لم يقم بأى شيء ، ولكن أيضاً ليس كل شيء ؛ فهذا النشاط في البلاد ، وفي المشروعات ، وفي الإدارة الحكومية يتمشى مع تطور الزمن الذي نعيش فيه ونحن مع هذه المشاريع لا زلنا في مؤخرة القافلة التي تركض ركضا مع سرعة العصر ؛ وإذا كان النفط قد عمل الكثير لنا ، فقد عمل لحتكريه الأكثر ، وإذا كانت الشركات المحتكرة تجود على أصحابه بلقمة قد تبدو للجائع مشبعة فما هي في الواقع إلا فئات المائدة الضخمة الشهية ؛ مائدة السادة . وإذا كان « حضرة الكاتب يتبجح ويدعى أن البترول قد جلب العمل والطعام والرفاه إلى البلاد ، فليلق نظرة سريعة على صافي أرباح الشركة المحتكرة ، ليرى ماذا جلبت أرباح نفطنا على الشركة من أموال . . . إننا أقل الناس استفادة من معدننا ، فقد تدفق علينا ولم نكن على استعداد له فغزتنا جحافل الأجانب من الذين

(البقية على صفحة ٣١)

تافهة ؛ إذا قيست بشواهد ازدياد الثروة والرخاء بين شعبه .
فقبل تدفق النفط كان السكان يعيشون في فقر مدقع بحيث لا يمكن للعقل الغربي أن يصدقه فكان التمر والخبز الجاف طعامهم ، حيث يجلبان من العراق ، أماشراهم ، فماء آسن ، كدور يحمل بقرب من جلود الحيوانات ، وكانت القذارة تملأ الشوارع الضيقة ، والأمراض والذباب بكثرة ، وكانت هناك شبه مجاعة لكثير من الشعب .

والنفط غير ذلك جميعه ، فالיום لدى جميع السكان أعمال ، وقد ارتفع مستوى حياتهم ، فالماء الذي يشربونه يأتي إلى المدينة في باخرة حولتها ستة آلاف طن ، وفي المستقبل الغريب ، أيضا سوف تصبح هذه الطريقة غير ذات موضوع ، لأن سمو الأمير قد أمر بإنشاء مشروع كبير لتقطير الماء ليسد حاجات الشعب فسوف ينتج على الأقل ٦٥٠ ألف جالون ماء يوميا . وسوف يستطيع السكان أن يشتروا عشرين جالونا بمبلغ بنى واحد (آنة واحدة) ، وسوف تستخرج القوة الكهربائية من المشروع السابق فستجهز البلد بقوة رخيصة لتساعد على إنهاء أيام قناديل النفط الخافتة

المستشفى الأول

لقد افتتح أول مستشفى كويتي في العام الماضي والآن لدى سمو الشيخ عبد الله خطة مشروع لإنشاء آخر ، وكذلك مصحة لمرضى السل وعيادة متنقلة للجهات النائية من الإمارة وعندما زرت الكويت لأول مرة كانت هناك علامات ودلائل قليلة للثقافة ، أما الآن فهناك خمسة عشرة مدرسة مجهزة لخمسة آلاف طالب ، حيث يعطى بها الطالب حساء بالصباح ويزود بملابس من لا يستطيع والداه أن يقوموا بذلك والشيخ عبد الله لم يسمح لثروة بلده المحدث أن تعمى عينيه ، عن حقيقة بلده الذي سيصبح في يوم ما مرة أخرى مملكة صحراوية ، وذلك عند نضوب منابع النفط فيها « فما منح المولى قادر على أن يسترده » كما قال سموه ، ولذلك فهو لا يألو جهدا على القيام بعمل الكثير .

فإذا تلاشت موارد البترول ، فإن ستة ونصف بالمائة وهي رسوم الجمر على المال الوارد ، هي موارد الدولة الوحيدة . ولكن لا بد من زمن طويل قبل أن تصل الإمارة إلى هذه النقطة ، فإن سموه سيكون قد جعل منها بلداً حديثة ، وسيكون الماء قد حول هذه الصحراء إلى أرض خصبة مرة أخرى كما كانت بالأيام الغابرة .